إشكاليات في اللسانيات العربية - آراء وتحاليل

Problems in Arabic linguistics

Opinions and analysis

بن طاقة حياة *
جامعة الحاج لخضر – باتنة
email :Hayat.bentaga@univ-batna.dz

دفة بلقاسم
مخبر الشّعريّة جامعة الحاج لخضر – باتنة
email:deffabelkacem@gmail.com

تاريخ الإرسال:10-9-2022 **تاريخ القبول: 09-12-2022**

ملخص:

دارت تساؤلات كثيرة حول الدّرس اللّغوي العربيّ ، كما حامت شكوك حول أصالته وعدم تأثّره بما سبقه من دروس ، فمن قائل إنّ النحو ليس عربيّ الأصول ،إلى مدّعٍ أنّ النّحو كُتب قبل سيبويه، وامتدت هذه التساؤلات والاختلافات لوقتنا هذا حتى بات أبناء العربية يخلطون في المصطلحات الدّالة على المفهوم الواحد ، تجدنا نستعمل لسانيات عربية تارة ولغويات عربية أخرى لوصف الدرس اللغوي بعامة قديما وحديثا ،مما خلق ارتباكا مفاهيميا عند القارئ ، ونظرا لذلك يعالج هذا المقال نقاط الالتقاء والتفرع بين المصطلحين اعتمادا على آراء لسانية جزائرية ,

الكلمات المفتاحية: لسانيات ، لغويات ، الدرس العربي.

Abstract:

There are many questions in Arabic language lesson . as doubts his origins . and Subwaymake not Arabic grammar,this problems are developed in our era , we find two terms for one concept like linguistic meant Arabic linguistic and old grammar lesson ,for this reasons we should study this topic to see the difference .

Keywords:linguistics,Arabic grammar

*-المؤلف المراسل

مقدمة:

عني العرب بلغتهم – شأنهم في ذلك شأن الشّعوب الأخرى – غير أنّهم قدّسوها لدرجة تحدّي باقي الأمم بغناها وكثرة ألفاظها وجودة تعابيرها وبلاغة معانيها وجمال أساليبها ، فأنزل الله تعالى كتابا محكما بلسان عربيّ مبين معجز لها في أساليبها وألفاظها وتراكيبها ودلالاتها وتنوّع لهجاتها أعجز العرب أنفسهم فأبهرهم وأظهر عجزهم أمام فهمه وتفسيره وشرح معانيه وآياته ، كتاب تعدّدت فيه القراءات بين المتواترة والشّاذة فما ضرّه تبدّل ألسنتهم في القراءة فمصدره إله واحد ميسّر للحفظ والتّلاوة ، كلماته من صلب لغة العرب غير أنّهم استغربوها .

إعجاز قادهم إلى التّحليل والبحث والاستقصاء لمعرفة اللفظ وبيان المعنى، فأوجدوا تفاسير للتّفقّه في الدّين ، نشأت بعده علوم محورها الدّين ذات طابع لغويّ، ممّا زاد من مدارسة العرب للغتهم وشغفهم بها ، وبعد انتشار الدّين دخله النّاس من كلّ صوب وحدب ، بألسن عجمية، فشاع اللّحن واستفحل، وتنوّعت أشكاله ووصل تأثيره إلى الخاصّة والعامّة لاختلاط الأنساب بسبب الفتوحات الإسلاميّة ، حتى وصل الاختلاط الخاصّة، فتجد أميرا عربيّا تزوج فارسيّة وأنجبت له مولّدا طُبِع لسانه بلكنة أمّه فينطق الكلمات بحروف ملحونة قد تؤدي لتغيّر دلالات الألفاظ ذاتها .

عندها ظهرت حاجة العرب للالتفات السّريع حول لغتهم - التفاتة فرضها الوضع – لحمايتها لفظا ومعنى،كان لزاما العودة للّغة الأصيلة، ولا يستقيم ذلك إلا بجمع القحّ منها من قبائل لم تخالط العجمة لسانها ، واشتدّت الحاجة لقيام علوم تجبر الخلل وتقيم العوج وتبعد اللّحن ، علوم تعصم اللّغة فكان النّحو والبلاغة والعروض والصّوتيات والمعاجم .....الخ

لقد نبغ العرب وبرعوا في النّحو فكان عماد وسنام علومهم، وتكوّنت فيه حلقات ومدارس ومذاهب وطبقات ، فالجمل لا تستقيم واللّسان لا يغادر اعوجاجه إلاّ إذا استقامت التّراكيب ، أدرك العرب ذلك متأخرين عن الهنود واليونانيين والرّومان ..الخ ، غير أنّهم فاقوهم فوُسِم نحوهم بالنّضج والاكتمال .دراسات امتدّت كانت انطلاقتها من رحم الدّراسات الدّينيّة غير أنّها تطوّرت وربت وكُتبت لها الاستمراريّة والتّنوّع ، شأنها في ذلك شأن الدّراسات اللّغويّة عند الشّعوب الأخرى حتى ظهر في منتصف القرن التّاسع عشر علم اهتم باللّغة حصرا يدعى اللّسانيات .

تلقى العرب هذا العلم وتعرفوا على خصائصه وسماته وأوقعهم هذا التّلقي في إشكالات عديدة لعلّ أبرزها ما سنناقشه من خلال هذه الورقة؛ لأنّ الباحث اللّسانيّ وجد نفسه أمام فجوة مفاهيميّة ومتاهة اصطلاحيّة غبشة دارت حول استعمال اللّسانيين العرب وصفا للعمل اللّغويّ مصطلح اللّسانيات العربيّة تارة واللّغويات العربيّة تارة أخرى مدلّلين إمّا عن فترة الأعمال التّراثيّة أو عن اللسانيات الحديثة ، ممّا أوقع الدّارس أمام إشكال مفاده :

* هل يجوز وسم الأعمال اللغويّة التّراثيّة باللّسانيات العربيّة أم باللّغويّات العربيّة ؟

وتفرّع عن ذلك تساؤلات لا تقلّ أهميّة عن هذا الإشكال نحو :

- هل امتلك العرب لسانيات عربيّة تراثيّة حقا؟
- لماذا يخلط المحدثون بين مصطلحي لسانيات ولغويات؟
- كيف تلقى العرب اللّسانيات العامّة ؟

تتراكم هذا الأسئلة خاصّة والقاريء يجد مؤلّفات معنونة صراحة ب "اللّسانيات العربيّة"نحو :

- بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية بجزأيه : عبد الرحمن الحاج صالح .
- اللّسانيات العربيّة الحديثة"دراسة نقديّة في المصادر والأسس النّظريّة والمنهجيّة"لمصطفى غلفان .
- الفسيح في ميلاد اللّسانيات العربيّة : عبد الجليل مرتاض.
- دراسات في اللّسانيات العربيّة"بنية الجملة العربيّة والتّراكيب النّحويّة والتّداوليّة علم النّحو وعلم المعاني: أحمد المتوكّل

وامتدّ الأمر للدّراسات الأكاديميّة في مثل أطروحة الدّكتوراه: اللسانيات العربيّة بين الأصالة والمعاصرة : صوريّة جغبوب.

هذه اللااصطلاحيّة واللاتحديد يغمسان الباحث في دائرة التّشتت والغموض، ويجعلانه يبحث لتلافي اللّبس، والخروج للحقيقة معتمدا على تحديده للخصائص اللّسانية والمزايا اللنغويستيّة وواقفا على المفاهيم العامّة من جهة ، والتّعرّف على الدّرس اللّغوي العربيّ مزمعا معرفة الفرق وتوحيد المصطلح وضبطه.

من هنا ارتأينا الوقوف في هذه الورقة البحثيّة على القضيّة تحليلا ووصفا لسبر الآراء، لعلّنا نصل لحقيقة الوضع ، إذ نسعى لإماطة اللّثام عن ذلك مرتكزين على أعمال لسانيين جزائريين .

1-اللّسانيات : إذا أردنا الوقوف على تعريف اللّسانيات ،فإنّنا نجد ما لا يحصى من التعّريفات توسيعا وتضييقا نأخذ منها ما يلي :

(العلم الّذي يدرس اللّغات الطّبيعيّة الإنسانيّة في ذاتها ولذاتها مكتوبة ومنطوقة كانت أم منطوقة فقط مع إعطاء الأسبقيّة لهذه الأخيرة؛ لأنّها خام تساعد أكثر على التّحقّق من مدى فاعلية أدوات بحث اللّسانيّ المعاصر ....ويهدف هذا العلم أساسا إلى وصف وتفسير أبنية هذه اللّغات واستخراج القواعد العامّة المشتركة بينها والقواعد الخاصّة الّتي تضبط العلاقات بين العناصر المؤلفة لكل لغة على حدة)[1].لا يخفى على أيّ مطّلع لساني أنّ سوسير جعل اللّسانيات العلم الذي يدرس اللّغة لذاتها وبذاتها [2]، فإذا قارنّا تعريفه هذا وما سبق من تعريف نجد أن عبد العزيز الحليلي فصّل في تعريف سوسير فجعل اللّسانيات علما ، أي تخضع لمفهوم العلم (يطلق العلم science اصطلاحا على كلّ بحث موضوعه دراسة طائفة معيّنة من الظّواهر لبيان حقيقتها وعناصرها ونشأتها وتطوّرها ووظائفها والعلاقات الّتي تربطها بعضها ببعض، والّتي تربطها بغيرها ،وكشف القوانين الخاضعة لها في مختلف نواحيها)[3] ، من هنا يتجلى أنه يجب أن تتوفر في اللسانيات مجموع معايير حتّى تتّسم بالعلميّة ،أن يكون لها موضوع -وموضوعها اللّغة - ، ومنهج -إذا يربط هذا المنهج عناصرها فيما بينها- وهذا تحديدا ما جعل سوسير يقول في ذاتها أي يدرس اللّغة ذاتها، فهي تشكّل حيّز الدّراسة ، ومنهج اللّسانيات أن يدرس اللّغة بأدواتها أي بذاتها، فلا ترتكز على شيء خارج لغويّ للتحليل ، فاللّسانيات تتّخذ اللّغة بجميع أشكالها موضوعا منطوقة أو مكتوبة، غير أنّها تقدّم المنطوقة ؛ وذلك لسهولة تطبيق الأدوات والآليات عليها حيث يؤكّد أحمد محمد قدور ذلك قائلا :(يدرس اللّغة الإنسانيّة دراسة علميّة تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيدا عن النّزعة التّعليميّة والأحكام المعياريّة)[4] ففي قوله معاينة الوقائع حصر اللّغة في المنطوقة ، كما تدرس اللّسانيات اللهجة والفصحى فلا تفرّق بينهما وتدرس اللّغات

1- عبد العزيز حليلي : اللسانيات العامة واللسانيات العربية (تعاريف ، أصوات)،(1991م) النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، ص11

2- فرديناند دي سوسير: علم اللغة العام ، تر يوئيل يوسف عزيز ،(1985م)، الآفاق العربية بغداد ، العراق ، ط3 ، ص 27

3- عبد الواحد وافي ، علم اللغة،(2004م) ، نهضة مصر للنشر والتوزيع ، مصر ، ط9 ، ص24

4- أحمد محمد قدور : مبادئ اللسانيات ،(2008م)، دار الفكر ، دمشق سوريا ، ط3 ، ص15

البائدة والمستعملة ...الخ ، والمتأمّل في التّعريفات السابقة يحصر منهج الدّراسة في الوصفيّ التّفسيريّ ، أمّا الهدف من دراسة اللّغة فلا يرتبط بالتّعليميّة والمعياريّة، بل تدرس اللّغة خدمة لها، عكس الدّراسات السّابقة للّسانيات الّتي درست اللّغات الإنسانيّة وقارنت بينها تمجيدا أو إحياء للغات بائدة ،أو تفضيلا للغة على أخرى .بالتّالي تعريف عبد العزيز حليلي يرقى لأن يوصف بالشّافي الكافي .

1.1-خصائص اللّسانيات :

تميّزت اللّسانيات على الدّراسات السّابقة للّغة ليس بالمنهج والكيفية فحسب ، بل جمعت خصائص تفرّدت بها نذكر منها :

- علم مستقلّ؛ فهو لا يخضع للفلسفة والمنطق عكس النّحو التّقليديّ.
- تهتمّ باللّغة المنطوقة قبل المكتوبة عكس الدراسات السّابقة .

-لا تفضّل ولا تفصل بين اللّهجة واللّغة في الدّراسة عكس ما ساد من قبل من ازدراء اللّهجات وتمجيد الفصحى والتّفاضل حتّى بين الفصحات فيما بينهن.

- تسعى لصفة العمومية ، إذ تهدف لإيجاد الخصائص العامّة المشتركة بين اللّغات الإنسانيّة حتّى يتسنى تعميم القوانين ووصف الظّواهر.
- كلّ اللّغات قابلة للدّراسة فلا فرق بين بدائيّة ومتحضّرة.
- لا تفصل بين مستويات اللّغة، بل تسعى لدراسة اللّغة كاملة (من الأصوات للدّلالة مرورا بالنّحو والصّرف)[1].

2.1 - مهام اللّسانيات :

1- ينظر، جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية ، تر، حلمي خليل ،(1985م)، دار المعرفة الجامعية مصر، ط1، ص 39 وما بعدها

إن تفرّد اللّسانيات بهذه الخصائص جعلها علما قائما بذاته لا يرتكز على المعياريّة، بل ينزع للموضوعيّة وجعل له مهاما ثلاثا ذكرها سوسير:

(أ- تقديم الوصف والتّاريخ لمجموعة اللّغات ، وهذا يعني سرد الأسر اللّغويّة وإعادة بناء اللّغات الأم الّتي في كلّ منها ما أمكنها ذلك .

ب- البحث عن القوى الموجودة في اللّغات كافة وبطريقة شموليّة متواصلة ، ثمّ استخلاص القوانين العامّة الّتي يمكن أن تردّ إليها كلّ ظواهر التّاريخ الخاصّة.

ت- تحديد نفسها والاعتراف بنفسها) .[1]

لقد حدّد سوسير إذن أهمّ ما يقوم به علمه الجديد الّذي قعّد له انطلاقا مما درس وما استفاد من سابقيه ، فقد أراد دراسة اللّغات الإنسانيّة كافة، فلم يقصر اهتمامه على أسرة دون غيرها، انطلاقا من خصائصها أو مكانتها ، كما فعلت الأنحاء السّابقة في تركيزها على اليونانية واللاتينيّة لردّهما لأصولهما السنسكريتيّة، ومن ثمّ تفضيلهما ومحاولة إحيائهما وتخليدهما ، بل اجتهد في استخراج مواطن قوة اللّغات بدراسة تطوّريّة عبر الزّمن ودراسة الخصائص في لحظة سكونيّة منهجه وصفي تاريخيّ ، ولا بدّ لنا من الاعتراف أن انبعاث اللّسانيات من رحم الدّراسات السّابقة نقدا وتقويما جعلها علما متكاملا له منهجه وموضوعه وخصائصه الصّرفة.

2- المناخ اللّغويّ قبل لسانيات سوسير:

مهّدت عوامل كثيرة للدّرس السّوسيري ليخرج إلى العلن ، فقد كانت الشّعوب كلّها تهتمّ بلغاتها انطلاقا من عنايتها بدياناتها وخدمتها، ولعلّ الدّارس لن يخطئ إذا قال إنّ بداية جديدة محفّزة كانت مع اكتشاف السّير ويليام جونس لنقوش اللّغة السّنسكريتيّة، إذ يقول الحاج صالح في ذلك : (هو اكتشافهم للقرابة الجوهريّة بين لغاتهم -وخصوصا اليونانيّة القديمة واللّاتينيّة – من جهة والسّنسكريتيّة من جهة أخرى، وإن كان قد تكلّم عنها أفراد قلائل من الأوروبيين قبل

1-فرديناند دي سوسير:علم اللغة العام ، ص24

ذلك، إلّا أنّ الشّعور الكامل الشّامل بهذه القرابة قد تمّ بعد احتلال الإنكليز للهند احتلالا منتظما؛أي في النّصف الثّاني من القرن الثّامن عشر، وقد تفطّن إلى ذلك عدد من العلماء أبرز هؤلاء ويليام جونس).[1]

إنّ النّصف الثّاني من القرن الثّامن عشر يعدّ البداية الفعليّة للدّرس اللّغويّ العالميّ ، إذ تعرّف العالم على ما يعرف بالأسر اللّغويّة الّتي جاء بها شليجل، حيث قسم اللّغات إلى فصائل وأسر بحسب خصائص مشتركة بينها ، لتأتي بعدها المقارنة – إذ فرضتها نظرية الأسر والقرابة اللّغويّة – وهي دراسات اتصفت بالمعياريّة، وهدفها تعليميّ، وظهرت بما يعرف بالفيلولوجيا الّتي اهتمت بـ: (تحقيق النّصوص وفكّ الرّموز وإعدادها للنّشر العلميّ؛ لذلك لم تتعدّ هذه الدّراسة حدود العمل التّمهيديّ اللّازم لدراسة اللّغة)[2]فكانت الخطوة الّتي مهّدت حقيقة لظهور اللّسانيات.

جاء سوسير(ت 1913) ووضع ما للسانيات من خصائص ومناهج ، فانشقت وانبثقت عن هذه اللّسانيات مدارس واتجاهات كثيرة كالتوزيعيّة والوظيفية والتوليديّة التّحويليّة والبراغماتيّة ارتكزت على الوصفية وناقشت ما فيها من نقائص، فعدّلتها أو أثبتت بعضا من معاييرها .

العرب بدورهم لم يكونوا في معزل عن التّأثّر بهذا الدّرس العالميّ الجديد ، غير أنّ تأثّرهم وتلقيهم له جاء متأخرا مقارنة مع باقي الشّعوب، وفيما يلي توضيح لأسباب هذا التّأخّر وكيفيّة تلقيهم للدّرس اللّسانيّ العالميّ .

3- تلقي العرب للّسانيات :

إنّ البداية الأولى للتّلاقح العربيّ الغربيّ في الدّرس اللّسانيّ كانت من بلاد الشّام ومصر ، وذلك فيما عرف وقتها بالبعثات العلميّة ، ولم يظهر للبلاد العربيّة الأخرى الأثر في هذه الفترة لكونها تحت وطأة الاستعمار.

7- عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في علوم اللسان ، (2012م)، موفم للنشر ، الجزائر ، ط1، ص 115/114.

2- أحمد محمد قدور : مبادئ اللسانيات ،ص7

كان لرفاعة الطّهطاوي بالغ الأثر وقتها،، إذ أثار مسألة تدريس اللّغات في الجامعة المصريّة على رأسها لغة الثّقافة والفن اللّغة الفرنسيّة وذلك مباشرة بعد عودته من بعثته للخارج ، وتواصلت لمحات ظهور العلم الجديد عربيا حتّى أربعينيات القرن التّاسع عشر ، فترة صدور كتاب الأصوات اللّغويّة لإبراهيم أنيس الّذي حاول فيه تطبيق النّظريّة الغربيّة على العربيّة ، إنّ استقبال الدّارس العربيّ للوافد الجديد اتصف بالتّشظي إذ انقسمت الرّؤى بين مأخوذ بالجديد منسلخ عما عهد من العلوم العربيّة مزدرلها ، وبين مستنكر مهاجم مشمئز من هذا الوافد متشبّث بآرائه العربيّة التّراثيّة مقدّس لها واصف كل ابتعاد أو تأثّر بالخيانة للأصول والروافد العربيّة؛ ببساطة لأنّ هذا الجديد أصوله ليست إسلاميّة عربيّة، وأيّ تعامل معه فيه مساس [لغة القرآن الّتي عهدها الله بالحفظ والعناية ، لتيار ثالث توافقيّ معتدل الرّؤى متصالح مع ذاته اتسمت رؤاهم بالموضوعيّة وتقبّل الرّأي الآخر ما دام فيه من الجدّة والصّلاح ما يخدم الجميع، تيار متشبّع بالتّراث رضع أصالته مع درسه النّحويّ والصّرفيّ والصّوتيّ والمعجميّ والدّلاليّ والبلاغيّ ، وأعطى لعلماء العربيّة مكانتهم من التبجيل والإجلال في موضوعيّة وتقبّل ما يقبله الواقع اللّغويّ ، نظر للإرث اللّغويّ نظرة ممنهجة علميّة فصحّح ما لمس فيه الخلل، وأخذ ما كان صائبا غير نائ عن المناهج اللّسانيّة الجديدة، بل نادى بتطويعها لخدمة اللّغة .هكذا كانت السّاحة اللّسانيّة العربيّة ، وما يؤكّد ذلك جليّا ما نقلته صوريّة جغبوب ملخّصة للوضع : (وقد نتجت عن هذه المقولات مواقف فكريّة متباينة في تصوّرها لطبيعة العمل اللّسانيّ العربيّ وهذه هي :

1- موقف الثورة على كل الموروث.

2- موقف الجمود عند التّراث.

3 - موقف حاول التوفيق وتوصيل الماضي بالحاضر)[1]

1- صورية جغبوب :قضايا اللسانيات العربية بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر ، (2012/2011م)،جامعة سطيف ، ص9

وليت الخلاف يتوقّف عند هذه الأزمة؛ أزمة التّلقي، بل إنّها احتدمت ،وتطوّر اللاتوافق فولّد أزمة المصطلح.

.4-أزمة المصطلح اللّسانيّ:

لقد ذكر عبد السّلام المسدّي في قاموس اللّسانيات ما يربو عن عشرين اسما للسانيات اصطلح عليها العرب ،حيث قال : (اللانغويستيك ، فقه اللّغة ، علم اللّغة ، علم اللّغة الحديث ، علم اللّغة العام الحديث ، علم فقه اللّغة ، علم اللّغات علم اللّغات العام ، علوم اللّغة ، علم اللّسان ، علم اللّسان البشريّ ، علم اللّسانة ، الدّراسة اللّغويّة الحديثة ، النّظر اللّغويّ الحديث ، اللّغويات الجديدة ، اللّغويّات ، الألسنة ، الألسنيات، اللّسنيات ، اللّسانيات) [1]لقد كان من التّشرذم واللاتوافق في الاستعمال الاصطلاحيّ بين دول المشرق والمغرب لأن اختار كلّ توجه منهم تسمية فرضتها الثقافة ، ورأى النّقاد أنّ هذا عائد أساسا لمخلّفات استعماريّة، إذ لا يعقل لقطبين ينتميان للّغة ذاتها أن يتولّد لديهما كم مفاهيميّ متناقض ومضطرب لهذا الحدّ ، وردوا هذا الاختلاف للثقافة والتّاريخ واختلاف المستعمر بين فرنسا وبريطانيا وليس للتّفرّد في التّرجمة ، أو لغياب التنّسيق والاتصال بين المترجم والمؤلف، كما نعوز ذلك لتعصّب العرب للتّراث ممّا دفعهم لإحياء ألفاظ قديمة متروكة وتوظيفها بدلالات جديدة حتّى لا تندثر، وهذا الرّأي دعمه فيصل الأحمر قائلا: (إنّ تعصّب كثير من الباحثين للتّراث، فيحاولون إيجاد مقابل له في تراثنا العربيّ)[2] كما قد يعود إلى الاختلاف المنهجيّ في وضع المصطلحات من تعريب وترجمة وتوليد ....إلخ ، ولا ننسى أنّ خلط اللّسانيّ بين المدارس اللّسانيّة الغربيّة قد يكون أيضا من دواعي هذه الأزمة ، فكثرة هذه المدارس والتّيارات جعلت عدد المصطلحات الوافدة كثيرة ومتقاربة ممّا يعسّر من عمل الهيئات اللّغويّة في ضبط المصطلحات لأسباب لغويّة علميّة ، فعلى الرّغم من جهود مجالس اللّغة السّاعية لتوحيد المصطلحات، إلا أن الأزمة حاضرة شائعة.

1- عبد السلام المسدي : قاموس اللسانيات ، (1984م)،الدار العربية للكتاب ، مصر ، دط ، ص 72

11- الأحمر فيصل : معجم السيميائيات ،(2010م)، منشورات الاختلاف ، ط1 ، ص14

5 - اللّسانيات في الجزائر وموقف علمائها من أزمة لغويات ولسانيات :

لن تكون الجزائر بعيدة عن ساحة العمل اللّسانيّ ، ونحن نتعرّف على اللّسانيات كمصطلح ومنهج وعلم وحتّى كأزمة عربيّة، يظهر لنا في الأفق استعمال للمصطلح الدّال على هذا العلم عربيّا مرة لسانيات عربيّة وأخرى لغويات عربيّة ممّا جعلنا ندخل حيّز اللّبس. وحريّ بنا البحث في جهودنا الجزائريّة للتقريب والتّعرّف عليه بداية ثمّ للوقوف على التساؤلات :

كيف تعامل الكتّاب الجزائريون مع أزمة التّشتت والتّشظي في استقبال اللّسانيات .؟

وما حقيقة اللّسانيات العربيّة / اللّغويات العربيّة ؟

نخصّ في حديثنا عن استقبال اللّسانيات في الجزائر موقف علمين رائدين هما عبد الرحمن الحاج صالح ، وعبد الجليل مرتاض ، واختيارنا لهذين العملاقين اختيار مؤسس؛ فالأوّل رائد وأبو اللّسانيات العربيّة الجزائريّة ، والثّاني فرضه الزخم المعرفيّ والغنى الفكريّ الظاهر في كثرة مؤلّفاته وتنوّعها ، غير أنّ هذا لا يعني خلو السّاحة اللّسانيّة من اللّسانيين الجزائريين الّذين خلّفوا بصمات وحقّقوا خطوات عملاقة في تعريف القارئ اللّسانيّ وطالب التخصص وتنوير دربه وعقله، بل وتخفيف الخلط المفاهيميّ ومحاولة تبسيط المجال ، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: خولة طالب الإبراهيمي ، وصالح بلعيد ، ونعمان بوقرة ، ومسعود صحراوي ، ومحمد خان ومحمد صاري ، وتواتي بن تواتي ...إلخ غير أنّنا لا نستطيع في هذه الوريقات التّعرّض لإنتاجاتهم طرحا وتحليلا.

القارئ لما أنتجه العلمان يجد أنّهما نظرا لأزمة تلقي اللّسانيات نظرة متعقّلة حكيمة إذ تبنيا موقف الوسطيّة؛ ومردّ ذلك مدارستهما للّسانيات بمناهجها ومعطياتها من جهة، وتشرّبهما للتّراث من جهة أخرى ، فلا نستطيع إطلاق أي حكم عليهما إلّا بالنّظر لأعمالهما ، لعلّ أهمّ ما يدّلنا على توجّه عبد الرحمن الحاج صالح التّوافقيّ دعوته إلى ما يعرف بالنّظريّة الخليليّة الحديثة الّتي عكست مطالعات الرّجل العميقة للتّراث، وذلك في الفكر النّحويّ واللّغويّ لـ : عمرو بن العلاء ، عيسى بن عمر ، وإسحاق الحضرميّ قبلهما ، دون أن ننسى

مدارسته لأعمال الخليل بن أحمد الفراهيديّ وتلميذه سيبويه بعده ، بذا تشرّب فكرا لغويّا تراثيّا ، ونلمس أنّه وثق في منهجهم الاستقرائيّ القائم على المشاهدة والرّواية الصّحيحة الثّقة، وعرف النظريات الجديدة الّتي جاءت بها اللّسانيات، فأيقن أنّ النّظريات الجديدة يجب أن ترتكز على النّظريات القديمة، فيجب معالجة ما خلّفه القدامى دون ازدرائه أو تهميشه وفي ذلك يقول : (... ضرورة لجوء الباحث إلى نظريّة علميّة في اللّغة تستطيع أن تستجيب لما يبتغيه من الصّياغة المنطقيّة الرّياضيّة ، فالنّظريّة اللّغويّة المتماسكة أي الّتي لا تحتوي على غموض في تحديد مفاهيمها وخلط بين هذه المفاهيم، ولا تقتصر على بعض أشكال هذا التحديد دون بعض ، هي الغاية المنشودة الّتي يجب أن يحقّقها اللّغويون الّذين يتعاملون مع الحاسوبيين في العلاج الآليّ للّغة ونعتقد أنّ هذه النّظريّة بالنّسبة للعربيّة يمكن أن نجدها عند النّحاة الأولين ممن أبدعوا كلّ المفاهيم والمناهج التّحليليّة العربيّة الأصيلة الّتي تنتمي إلى مدرسة الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه)[1]

إنّ هذا النّص نموذج - يغنينا عن عرض نصوص أخرى لا يتّسع لها المقام - عن موقف العلّامة التوافقيّ، حيث جعل النّظريّة النّحويّة العربيّة القديمة علمية متماسكة لا تحتوي على غموض في مفاهيمها، شاملة لا تقصر جهدها على مبحث دون آخر ، ثمّ إنّه دعا المحدثين للاقتداء المنهجي بالأجداد لتشكيل نظريّة متكاملة في حوسبة اللّغة .

أمّا موقف عبد الجليل مرتاض فيتّضح مما جاء في مؤلّفه (مباحث لغويّة في ضوء الفكر اللّسانيّ الحديث) فمن العتبة الأولى لمصنّفه قام مرتاض بالمزاوجة بين القديم – ما دعاه مباحث لغويّة – والحديث – ما اصطلح عليه بالفكر اللّسانيّ الحديث- فقد عكس رؤيته للتّراث بأعين لسانيّة حديثة ، كما يظهر فكره وموقفه بارزين بين ثنايا الكتاب عاقدا في عناوينه مقارنات بين القديم والحديث من أمثال (السانتكس التّقليديّ والمعاصر) وواضح وجه مقارنته بين الأنحاء القديمة والحديثة ، كما عقد مقارنة بين ابن خلدون وتشومسكي في اكتساب اللّغة تحت عنوان (وجهات نظر لسانيّة في اللّغة والاكتساب) ، كما يرسخ هذا الموقف عند اطلاع القارئ العربيّ لمؤلّفه الفسيح في ميلاد اللّسانيات العربيّة فقد اجتهد الرّجل

1- عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ،(2007 م)، موفم للنشر، الجزائر، ط 1 ، ص 317

في عكس نظريّة العرب اللّسانيّة من خلال الوقوف على أهم المحطات الّتي جعلت من الدّرس اللّغوي العربيّ التّراثي يقترب إن لم نقل يوازي الدرس اللّسانيّ الحديث منهجا ومباحث .

إنّنا عمدنا لإظهار موقف الرّجلين من اللّسانيات حتّى لا نترك في نفس القارئ ريبا لميوله، فلا يعتريه الشّك أنّ جنوحهما لاستعمال مصطلح ما إنّما يعود لمذهب هما متأثّران به، لقد برز لنا من خلال مطالعاتنا أنّ العلمين يستعملان مصطلح اللّغويات العربيّة كما يستعملان اللّسانيات العربيّة للدّلالة على علم اللّغة العربيّ إن قديما أو حديثا ، فلا شكّ أنّ العلمين يلتقيان في خصائص خوّلت لهما استعمال المصطلحين ، فلا يخطر ببال مشكّك أنّ عبد الرحمن الحاج صالح أو عبد الجليل مرتاض يخلطان في هذا الاصطلاح ، ولا يعقل أنّهما جهلا الاختلافات والتّقابلات والتّشابهات بين المصطلحين ومفاهيمهما .

6 - الخصائص المشتركة بين اللسانيات العامّة واللّغويات العربيّة :

ارتأينا عقد مقارنة بين خصائص اللّسانيات العامّة المذكورة آنفا وبين خصائص من الدّرس اللّغويّ العربيّ ، وتلمّس مواضع ذلك عند الرّجلين، فقد امتلكت العرب نظريّة لغويّة تشابهت في ميزاتها مع خصائص اللّسانيّات، ويظهر ذلك في :

أ- علم مستقّل : درس النّحو العربيّ – التّطبيق يكون على الدّرس النحويّ لما كان له من العناية عند العرب – في منأى عن بقيّة العلوم على الرّغم من أنّ الفصل كان منهجيّا لتسهيل التقعيد وذلك لأنّ النّحو لن يستغني عن الصّرف حتّى عدّ مصطلحا لصيقا به، ولا عن البلاغة، فلا معنى للتّراكيب إلّا في حضور المعانيّ المضبوطة ، واستقلّ النحو العربيّ عن الفلسفة والمنطق المغالي – ما عدا العلل – ودراسة النّحو لم تكن لتعلّمه ،فنأى عن المعياريّة. فالهدف كان أسمى وهو دراسة اللّغة والحفاظ عليها ، استخرج العرب القوانين من ذات اللّغة المستعملة المحكيّة السّليقيّة الّتي بقيت غير منحولة ولا ملحونة أخذوها عن عرب أقحاح ، وذلك ثابت في الكتب ، وفي ثنايا حفاظهم على لغتهم يحافظون على الدّين من أن يلحقه التّدنيس والتّدليس ، وقد تلاقت في ذلك مع كون اللّسانيات علم بيني، فالنحو بدوره بينيّ بين الصرف والبلاغة والتّفسير والدّلالة ...إلخ .

ب -التّركيز على اللّغة المنطوقة : وهذا ما تجسّد عند العرب في السّماع ، فقد أولت العرب السّماع جانبا عظيما في جمع وتدوين اللّغة، و من ثمّة التّقعيد، وظهر هذا العنصر في كتابات الحاج صالح، إذ أفرد في كتابه (منطق العرب في علوم اللّسان) العناية لموضوع السماع،وهذا ما يظهر في عناوين منها (العناية بالسّماع وتصحيحه ، تقديمهم السّماع على القياس ....) أمّا مرتاض فقد أظهر ذلك من خلال موازنة بين المنطوق من اللّهجات في كتابه (الموازنة بين اللّهجات العربيّة الفصيحة دراسة لسانيّة في المدوّنة والتّركيب) حيث عنون بدوره أجزاء منه باستعمال السّماع ويظهر من خلال (منهجنا في السّماع ، السّماع بين البصريين والكوفيين ، السّماع والنّظام الصّوتيّ)، كما صرّح في المؤلّف ذاته أن الدّرس العربي استعمل اللّغة المنطوقة وقدّمها في (انبثاق الدّرس اللّغويّ المحكيّ).

ت - عدم الفصل بين اللّهجات والفصحى : وذلك مبثوث في الكثير من المواضع، إذ لا يعتدون بلغة ويزدرون لهجة، وهو دليل قطعيّ على أنّهم أخذوا اللّغة من القبائل غير المتاخمة للعجم ، فلو اعتدّوا بلغة أو لهجة لقصدوا في جمع اللّغة وتدوينها تلك القبيلة وأغناهم ذلك عن المسير والمشقّة .

ث- الدّراسة العلميّة للّغة : يتجلى ذلك في انتهاجهم المناهج العلميّة وآلياتها كالسّماع والقياس والتّعميم والاستنباط في استخراج القواعد.

ج- عدم الفصل بين مستويات اللّغة : وقد تقدّم أنّ الفصل منهجيّ لتبسيط الدّراسة لا غير.

إنّ ما تقدّم من خصائص يظهر أنّ العرب امتلكت علما لسانيّا نظّرت له، ولم تصطلح عليه، بل جعلته دراسة لغويّة فحسب، درسوها بما تأتى لهم من آليات لغويّة، لم يخرجوا فيها عن الآليات والمناهج الخارجة عن اللغة، وبالتّالي درسوا اللّغة لذاتها ومن أجل ذاتها ، أليست هذه هي اللّسانيات ؟ إذن لغويات تعني لسانيات.

7- الخاتمة :

ممّا تقدّم نخلص إلى النتائج الآتية:

* امتلك العرب نظريّة لسانيّة مكتملة في مفاهيمها وليس في مصطلحاتها ، إذ نجد مجمل ما قدّمته اللّسانيات حاضرا في تراثنا بتسميات أخرى .

* العمل اللّغويّ حقّ له أن يسمى لسانيات عربيّة على الرّغم من أنّ استعمال مصطلح لغويات عربيّة لا ينقص من شأن الجهد المهيب والثروة العظيمة الّتي خلّفها أسلافنا ، إذ يعدّ الدّرس الحالي امتدادا لمجهودات الماضي ، فالعلم تراكميّ ، وما خلّفه القدامى يحفّز لسبر أغوار كنوز معرفيّة ومدارستها ليُتّخذ قاعدة صلبة وركيزة عماد نحو تقدّم لسانيّ منتظر ، والخصائص اللّغويّة المشتركة أثبتت ما لعلمائنا من قدرات على الرّغم من بساطة الآليات .

8- قائمة المراجع :

- عبد العزيز حليلي : اللّسانيات العامة واللسانيات العربية (تعاريف ، أصوات) ، 1991 ،النّجاح الجديدة (الدّار البيضاء / المغرب) .

-فردیناند دي سوسیر: علم اللغة العام ، 1985، الآفاق العربيّة ، بغداد / العراق.

-عبد الواحد وافي : علم اللغة ، 2004،نهضة مصر للنشر والتوزيع ، مصر .

-أحمد محمد قدّور : مباديء اللسانيات ، 2008 ، دار الفكر ، دمشق/سوريا .

-جون ليونز: نظريّة تشومسكي اللغوية ، 1985، دار المعرفة الجامعيّة ، مصر.

-فردیناند دي سوسیر: علم اللغة العام ، 1985، الآفاق العربية ، بغداد / العراق .

-عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في علوم اللّسان ،2012، موفم للنشر، الجزائر

-أحمد محمد قدور : مباديء اللسانيات ، 2008، دار الفكر ، دمشق /سوريا .

-صورية جغبوب : اللسانيات العربية بين الأصالة والمعاصرة ،2012/2011، جامعة سطيف، الجزائر.

-عبد السلام المسدي : قاموس اللسانيات ،1984، الدار العربية للكتاب .

-فيصل الأحمر: معجم السيميائيات ،2010، منشورات الاختلاف ، الجزائر.

-عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ،2007، موفم للنش.